سيكولوجيا الاتصال الإقناعي في صناعة الإعلام الفضائي التنصيري

دراسة تحليلية سيميولوجية لبرامج قناة شمال إفريقيا الناطقة بالأمازيغية

The psychology of persuasion in the Christian satellite television industry, Semiotic analysis of The Amazigh-speaking North African Channel's programmes

الجمعي حجام

جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)، hadjem.eldjemi@univ-oeb.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/20 تاريخ القبول: 2024/02/27 تاريخ النشر: 2024/06/30

الملخص:

تبحث هذه الدراسة الكيفية وعبر منهج تحليل الخطاب والتحليل السيميولوجي في سيكولوجيا الاتصال الإقناعي الذي تعتمد عليه القناة التلفزيونية الفضائية التنصيرية "قناة شمال إفريقيا" الناطقة بالأمازيغية في صناعتها الإعلامية. إذ لاحظنا توجهها المكثف لسكان منطقة القبائل وانتهاجها أسلوب البناء السياقي للمعاني والأفكار التنصيرية ببراعة أسلوبية مغرية وإثارة مساءلات نقدية ومطارحات علمية جريئة في نقد العقل الديني بخلخلة اليقينيات المتراكمة في المخيال الاجتماعي للأفرد والجماعات.

كلمات مفتاحية: الإعلام الديني ، فضائيات التنصير، سيكولوجيا الاتصال، منطقة القبائل.

Abstract:

This study examines how and through the semiological analysis method in the psychology of persuasion communication on which the Christian satellite television channel "North African Channel" speaks Amazigh in its media industry. We have noted its intensive orientation of the people of kabylie and its contextual construction of christian meanings and ideas with alluring stylistic prowess, stirring up critical accountabilities and bold scientific arguments in criticizing the religious mind with the complexity accumulated in the social imagination of individuals and groups.

Key words: Religious Media, Christianity Satellites, Communication Psychology, Kabylie Region.

المؤلف المرسل: الجمعي حجام ، **الإيميل:** hadjem.eldjemi@univ-oeb.dz

1. مقدمة:

تعيش المجتمعات الإنسانية في وقتنا الراهن توجها قويا وشديد النزعة نحو الصناعات الثقافية والإعلامية في ظل الفضاء الاتصالي المعولم ، ساعدها في ذلك ثورات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات بأجيالها المتعاقبة. ولقد تزايد الاهتمام بصناعة المضمون في الإعلام الديني وفقا للمقولة الماركسية الدين أفيون الشعوب ، وشمل هذا الإهمتام مختلف الوسائل الاتصالية التقليدية ووسائطه الجديدة ، لكن يبقى الإعلام الديني الفضائي الرهان الحقيقي لممارسة الغزو الناعم والسلاح القوي لكسب المعارك العقائدية الكبرى .

لقد أدركت القوى الكبرى السياسية أن الإعلام الديني هو السلاح الفتاك بالعقائد والقادر على خلخلة اليقينيات الإيمانية المتجذرة والمتراكمة في قلوب وعقول الأجيال . وبالتالي استوعبت جيدا أهمية تصنيع الخطاب الثقافي عامة والديني خاصة في الإكراه الناعم للشعوب والمجتمعات وإخضاعها لإرادتها. مستفيدة من تجارب الحروب الصليبية المخيبة أن السلاح الحقيقي لتمكين للأفكار والمعتقدات من الانتشار والتجسيد ، هو الإعلام بمختلف وسائله القديمة والحديثة سيما الإعلام التلفزيوني الفضائي . فعمد الغرب الإمبريالي إلى تشجيع وتمويل القنوات التلفزيونية التنصرية باسم الحريات الدينية التي تكفلها مختلف الهيئات والمنظمات الحقوقية الدولية سواء الحكومية وغير الحكومية وتنفق القوى الغربية الكبرى بسخاء وتدعم سياسيا مشاريع الحملات التنصيرية المباشرة في العالم الاسلامي تحت غطاء الديموقراطية وحقوق الانسان والحريات الدينية وحوار الحضارات والديانات.

فالإعلام الديني المأدلج بالجوهر والماهية يمارس نوع من التأثير السحري على قلوب وعقول الأفراد خاصة في المجتمعات الدينية ، وقد تم توظيف الإعلام وسلطة الاتصال كقوة مضادة للتأثير في طبيعة سطوة السلطة الدينية، والسعي وراء إضعافها بمختلف الوسائل والأساليب . لأن الأمر لا يتعلق فقط بالوظائف التقليدية للإعلام ، فالإعلام الديني يتجاوز إعلام الفرد بما يحيط بوجوده إلى البحث في وجوده ويجيب على هواجس والأسئلة الكبرى لجوهر وجوده. وإذا كان الإعلام العام أو الموضوعاتي التقليدي يبحث أساسا في علاقات التأثير والتأثر بالفضاء الإجتماعي والعلاقات بين الموجودات في الوجود ، فالإعلام الديني يبحث في علاقات التأثير الروحي برب الوجود داخل البناء الاجتماعي.

والملاحظ في العقود الأخيرة تنامي القنوات الفضائيات التنصيرية خاصة الموجهة للدول العربية الاسلامية وبشكل لافت للانتباه ، لأن الدول الكبرى أيقنت أن استمرار الهيمنة على الشعوب وتشتيت وحدتها، يكمن في ضربها في مرجعيتها الدينية. فقد ظهرت العديد من القنوات الفضائية التنصيرية على غرار "قناة شمال إفريقيا" التي تبدي إهتماما كبيرا بقضايا التدين والتنصير لسكان شمال إفريقيا عامة والأمازيغ وسكان منطقة القبائل خاصة .

فبعد تقلص فرص التبشير التقليدية يتم اللجوء إلى الاساليب الاتصالية الجماهيرية الاكثر سهولة في استهداف واستقطاب اكبر عدد ممكن من الجماهير الجزائرية ، وتستثمر هذه القنوات في الجوانب النفسية والاجتماعية لاستمالة الجماهير بالاستناد إلى عوامل سيكولوجية في التواصل والاقناع والاستحضار القوي والبارع للسياق الاتصالي الممتد للبيئة السوسيوثقافية ؛ أي إضفاء الطابع المحلي على إنتاج المضمون الديني. وتزدهر مثل هذه القنوات التبشيرية في ظل هشاشة الخطاب الديني الإعلامي الوطني واتجاهه خاصة في ظل الانفتاح السمعي البصري نحو صناعة القدوات الإعلامية الدينية الفاقدة للمصداقية مقابل تغييب المرجعيات الدينية المعتدلة ، في ظل فوضى الاتصال الديني المتدفق عبر القنوات التلفزيونية والإذاعية ومواقع التواصل الاجتماعي.

تسعى هذه الدراسة للبحث العميق والتشخيص والفهم الدقيق للأساليب الاتصالية والمداخل السيكولوجية التي تعتمد عليها القناة التنصيرية "قناة شمال إفريقيا" الموجهة بشكل مركز للجزائر وبخطابات مكثفة للأمازيغ الجزائريين سيما أمازيغ منطقة القبائل. في صناعتها للمضمون الاتصالي الديني ، من خلال انتهاج الملاحظة العلمية والوصف التحليلي لمختلف البرامج والحصص والومضات الترويجية التي تعتمد عليها القناة للإقناع وإنجاز مهامها التنصيرية. وسنحاول الاجابة على السؤال الإشكالي التالي : ما هي الأساليب الاتصالية السيكولوجية التي تعتمدها قناة شمال إفريقيا التنصيرية في برامجها الناطقة بالأمازيغية في صناعة الإقناع بخطاباتها الدينية الموجهة للجزائريين؟

2. طبيعة الدراسة وإجراءاتها منهجيتها

فرضيات الدراسة :

الفرضية الأولى : الإعلام التنصيري الفضائي يمارس صناعة إعلامية ترتكز أساسا على صناعة خطابات بأساليب سيكولوجية إقناعية تمزج بين الإستمالات العاطفية والعقلية تستهدف فئة من الجزائريين الأمازيغ عبر البناء الانتقائي والسياقي للرسالة الاتصالية

الفرضية الثانية : تتنوع أساليب الاتصال الاقناعية التي تستخدمها قناة شمال إفريقيا التنصيرية بين الاستمالات العقلية والعاطفية لنشر الأفكار التنصيرية ، بمنطلقات أن سكان منطقة القبائل يميلون لتغليب منطق التفكير الحر الرافض للدوغمائيات الدينية الجاهزة والمغلقة والحقائق المطلقة.

1.2

الفرضية الثالثة : يعتمد الإعلام التنصيري الفضائي الناطق بالأمازيغية على البناء السياقي للمعنى والأفكار التنصيرية ، بالاستثمار في عناصر ومكونات البيئة السوسيوثقافية لمنطقة القبائل والتي هي جزء من البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري.

2.2 أهداف الدراسة

نهدف من خلال هذه الدراسة للكشف عن أساليب الاتصال الاقناعي الموظفة من قبل الإعلام التنصيري ممثلا في قناة شمال إفريقيا الناطقة بالأمازيغية ، وكذا الكشف عن خبايا الرسالة الاتصالية والأساليب السكولوجية التي تستخدمها لاستمالة واقناع مسلمي شمال افريقيا بالتركيز على الأمازيغ الجزائريين لاعتناق المسيحية وتبني التنصير. وذلك بالاستثمار في الدلالات السياقية لصناعة وبناء المعني بتوظيف مجموعة من الرمزيات الاجتماعية والنفسية والثقافية لمنطقة القبائل ، من منطلق أن سكان منطقة القبائل يميلون لتغليب منطق التفكير الحر الرافض للدوغمائيات الدينية الجاهزة والحقائق المطلقة . كما نهدف الى بناء تصور علمي حول مخاطر الانغلاق والرداءة الإعلامية المهملة لجودة وجدية الخطاب الديني والذي يفتح الابواب للاستثمار الاجنبي في الثغرات ، فضعف الإعلام الديني واستخفافه بالعقل الديني وانتهاجه لاساليب التهريج والتخفيف ينفر الناس من دينهم ويدفع البعض للبحث عن بدائل أخرى ، كما نهدف إلى لفت الانتباه الرأي العام وصناع القرار إلى ضرورة الاهتمام بالإعلام الديني وتغذيته بمضامين ذات جودة ونوعية تنزع نحو تكريس قيم الحوار والتسامح والتعايش المشترك بأبعاد انسانية لا صراعية ولا تطرفية .

3.2 أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أهمية الإعلام الديني كنسق تكاملي مع البناء الاجتماعي في جميع أبعاده ، الثقافية الفكرية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وتبرز هذه الأهمية بجلاء في حالات الاستهداف الإعلامي المركز لعقيدة الشعوب والمجتمعات ضمن

ما يسمى بالغزو الناعم الذي يمارسه الإعلام الغربي عامة والتنصيري منه خاصة. مما يستدعي تحرير المبادرات لخلق اليقظة الفردية والجماعية ، لإدراك مخاطر هذه الحملات خاصة حين تركز رسائلها نحو منطقة بذاتها من الوطن . فتصوير منطقة القبائل أنها بؤرة للتنصير ومحور مقاومة الهيمنة الدينية للسلطة القائمة يحمل مؤشرات خطر على الدولة وعلى النسيج الاجتماعي. رغم أن هذه المقاربة خاطئة ومضللة والحقيقة أن هذه المنطقة تبقى حصنا منيعا للإسلام العقلاني المعتدل المستوعب لقيم التسامح والتعايش بينما تبقى الحالات القليلة يمكن احتوائها كظاهرة بتأسيس لإعلام ديني بمضامين جادة وبرامج متنوعة.

4.2 منهجية الدراسة وأدواتها

اعتمدنا في هذه الدراسة المندرجة ضمن الدراسات الكيفية ، على منهج تحليل الخطاب والذي له مداخل متعددة ورؤى مختلفة ، كما أنه ليس حاسما أو نهائيا وإنما هو في حالة مستمرة من التطور ، والخطاب في دراستنا هذه هو الرسالة الإعلامية من حيث موضوعاتها وعناصرها وكافة مكوناتها الظاهرة والمستترة سواء المكتوبة والشفهية والمادة المرئية بصورها الثابتة والمتحركة والإيماءات الجسدية والمؤثرات الصوتية وكل ما يدخل في بنية الرسالة، بما تنطوي عليه من معان ودلالات وأهداف في سياقها الزمني والمؤسسي والمجتمعي **(العزيز، 2018، صفحة 302)**. وقد دعمنا هذا النهج بتحليل المضمون الكيفي لعينة من برامج قناة شمال إفريقيا الفضائية التنصيرية. وهذا ما يمكننا من التحليل المتعمق للمحتوى دون التركيز على الأوزان الكمية لتصنيفات المضمون محل التحليل ، بما يتيح توضيح الأفكار العامة والتفصيلية وما يكمن وراءها من معان ودلالات ، مع تدعيم هذا الوصف باستنتاجات سليمة واستدلالات منطقية **(العزيز، 2018، صفحة 493)**.

أما فيما يخص أدوات الدراسة فقد اعتمدنا على الملاحظة العلمية إذ قمنا بالمتابعة المستمرة وبالتأمل العميق لبرامج قناة شمال افريقيا التنصيرية الناطقة بالأمازيغية خلال الفترة الممتدة من جانفي إلى أفريل 2018. بحيث لفت انتباهي نمطية برامجها المستعرضة لاشخاص معظمهم جزائريين ينحدرون من منطقة القبائل، اعتنقو المسيحية ويسردون بنوع من الاعجاب والانبهار تفاصيل سيرورة اعتناقهم للمسيحية ، ولقد اعتمدنا على الملاحظة والتأمل العميق، كما استرشدنا بمجموعة من أفكار ومبادئ التحليل السيميولوجي للتغلغل في قراءة معاني ودلالات الرموز الموظفة في هذه البرامج ، بمحاولة تفكيك مختلف الرموز في السياق الدلالي لمنطقة القبائل.

3. الإعلام الديني والإعلام التنصيري

1.3 الإعلام الديني الماهية والأهمية:

تتنوع وتتعدد الاصطلاحات العلمية على الإعلام الديني ، كالإعلام الدعوي ، أو الإعلام الرسالي ، أو البرامج الدينية أو الخطاب الديني الإعلامي ، ويفضل بعض الباحثين اصطلاح الإعلام الرسالي على الإعلام الديني نظرا لطبيعة الرسالة الإنسانية والتنويرية التي يحرص الإعلام الديني على بثها لأن الأمر يتعدى حدود الإعلام والتثقيف إلى البناء الصحيح والسليم لعقيدة الوجود وفلسفة الحياة.

لكن يجب التأكيد في هذا المقام على بروز النزعة بحثية لإضفاء البعد الإسلامي عن الإعلام الديني ، بوصفه بالإعلام الديني الاسلامي الذي يرتكز على تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق عن الدين الاسلامي المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة إعلامية دينية متخصصة أو عامة ، بغية تكوين رأي عام صائب يعي الحقائق الدينية ويدركها ويتأثر بها في معتقداته وعباداته ومعاملاته (لبنى، 2020، صفحة 220). لكن في الحقيقة الإعلام الديني أوسع من هذا التصور، ويشمل أيضا الديانات الأخرى السماوية والوضعية. فلإعلام الدينى تعبير عام وفضفاض وشامل وذو نطاقات متسعة تشمل أدوات ومواد إعلامية عديدة بعضها مرئى ومسموع ومكتوب وأخرى تتصل بالثورة المعلوماتية والاتصالية الجديدة على الفضاء السيبيري ، والقنوات التلفازية القضائية . من هنا نبدو أمام ظاهرة انفجارات إعلامية دينية تمس العقائد والشرائع والقيم والمذاهب والتاريخ الدينى ، إسلامياً كان أم مسيحياً أو يهودياً ، ثم الأديان الوضعية على اختلافها" (نبيل، 2014).

ويضيف نبيل عبد الفتاح "الإعلام الدينى تعبير عام يشير إلى الأجهزة الإعلامية المسموعة والمقروءة والمرئية والالكترونية التى تبث مواد إعلامية : أخبار وتحقيقات ومقالات ومقابلات ورسومات وكاريكاتير ، وبرامج متلفزة أو مسموعة أو أخبار ومقابلات وتحقيقات،، والوظيفة التى تقوم بها هى إنتاج وتوزيع خطابات ومواد وموضوعات دينية محضة ، إسلامية ومسيحية ورؤى وسلع دينية تنتمى إلى أديان وضعية عديدة ، والتى تتناول قضايا ومقولات ورموز دينية تتصل بالعقائد والجوانب التشريعية وعلم الكلام والفلسفة والفقه وأصوله ومدارسه والأخلاق والتاريخ ووقائعه ورموزه من رجال الدين، أو النزاعات التى تتصل بالدين فى

عمومه وقراءاته وتأويلاته وقضاياه على اختلافها. "وثمة من المواد ما يتصل بالعقائد المسيحية ، ومذاهبها الثلاثة الكبرى: الكاثوليكية، والبروتستانتية، والأرثوذكسية ، وما تفرع عن هذه المذاهب من مدارس لاهوتية وتأويلية عديدة تناسلت من بعضها بعضاً وتنافست وتصارعت على قانون الإيمان المسيحى ، وتأسست عليها لاهوتيات عديدة وتعاليم الآباء..إلخ (نبيل، 2014).

فالإعلام الديني يرتكز في بعده الرسالي ، على البعد الروحي الذي يربط الافراد كمخلوقات بخالقهم ، وهو إعلام متخصص في نقل المعلومات والأفكار الرامية لتنوير أفراد المجتمع بحقيقة دينهم المستوحاة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. والإعلام الديني هو الخطاب الذي تنتجه وسائل الإعلام المختلفة القديمة والحديثة المستوحى من الشريعة الإسلامية ويتخذ من الكتب والسنة منهجا وأسلوبا في العمل والاقناع. أو هو "خطاب يتوجه بالكلام المسموع أو المرئي أو المقروء في الإذاعة أو التلفزيون أو الصحيفة ، ويقصد بالديني هنا ما كان متعلقا بدين الإسلام خاصة" (بوعلي، 2007). وعرف المختصون الإعلام الديني بأنه إعلام متخصص يستمد منهجه وأدواته وأساليبه وأشكاله وتطبيقاته من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ، يركز على بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة ، وتكوين المجتمع الاسلامي المتماسك والمتكافل المبني على عقيدة الإسلام ومبادئه وقيمه وترقية اهتمامات الناس والسمو بعقولهم ووجدانهم وسلوكهم. ونشر الثقافة الاسلامية بمبادئها السامية وقيمها الرفيعة" (الشميري، 2013، صفحة 20). وعلى العموم تستهدف رسالة الإعلام الديني "ابراز الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين وحمايتها من كل أشكال التحريف والتزييف من القوى الغازية الاحتلالية والبراجماتية وتصحيح الصور المشوهة المتراكمة عبر التاريخ الانساني، من خلال التصدي لحملات التشويه الدعائية. توضيح وترسيخ القيم والمبادئ الاسلامية البناءة التي يؤكد عليها الاسلام لتنمية المجتمع والارتقاء بأفراده بما يحقق الخير للجميع والتعريف بأحوال المسلمين وتنكيرهم بمشاكل إخوانهم والتحديات التي تواجههم" (الشميري، 2013، صفحة 21). واقتراح مخارج وتصورات للحلول الكفيلة بإلحاقهم بركب التطور والتقدم والتحضر عبر التأسيس لسلطة العقل والتفكير بدل التنويم والتخدير. "إن وسائل الإعلام ولا سيما الجماهيرية منها اليوم تعتبر من أعظم الوسائل الدعوية تأثيرا" (الشميري، 2013، صفحة 15)

ولقد أفرزت ثورة الاتصال المعلوماتية بتحالفاتها الفنية والتقنية وصناعاتها الاخبارية والثقافية ، سيما بعد إدماج تكنولوجيا الاتصال الحديثة والحاسبات الإلكترونية ، نوع من التقارب والجوارية بين مجموعة من العوالم المختلفة والمتباينة ثقافيا ودينيا مع تأكيد نزعة تكريس النماذج المهيمنة ، وتكريس الاستسلام والخضوع لثقافة القوى والأنساق المهيمنة بالشكل الذي يعزز تسلط القوي وإذعان الضعيف . "وكان من مظاهر هذه الثورة التداول المكثف للمعلومات وتهديد الثقافات ومنها الثقافة العربية الاسلامية التي تعد جزء اصيلا من الشخصية الجزائرية" (عزوز، 2013، صفحة 15). ونظرا للاعتراف العام بقوة تأثير الإعلام الديني "فان اهمية ودور الإعلام الديني تتبين بالنظر الى حجم المخاطر والمعوقات التي تقف امام الوعي الديني الصحيح من جهة ، وتتضح بالنظر الى الإعلام المقابل له من قنوات فضائية ومواقع على الشبكة العنكبوتية التي تبث رسائل دينية مهددة للنسق القيمي والحضاري الذي تنتمي اليه الثقافة العربية الاسلامية من جهة ثانية" (عزوز، 2013، صفحة 16)

اما بالنظر الى المعوقات التي تقف أمام الوعي الديني الصحيح ، فإننا نقتصر منها على ضعف أداء الإعلام الديني كنوع من الإعلام المتخصص الذي يستند الى أصول الإعلام بصفة عامة ، ويتميز عنه بخصوصية الإستناد الى مرجعية قيمية وثقافية خاصة تفرض عليه عدم الخروج عنها، كي لا يفقد هذه الخصوصية. من جهة أخرى وعدم التقوقع والانغلاق دونها كي لا يصاب بالجمود والتخندق من جهة أخرى. وفي هذا الصدد تشير جملة من الدراسات أن الإعلام الديني من حيث الكم موجود أما من حيث الكيف فان قلة من وسائل الإعلام الديني تملك أهلية التاثير وإسماع كلمة الإعلام الهادف الى المتلقي" (عزوز، 2013، صفحة 16). وهذا يرجع إلى جوهر المشكلة في المشهد الإعلامي الذي تأسس على العددية بدل التعددية الحقيقية ، والتنوع المستوعب للتعددية الثقافية التي يزخر بها البناء الاجتماعي الجزائري. خاصة وأن الإقرار المتأخر بالإنفتاح السمعي البصري لم يكن طبيعيا وإنما لمسايرة ظروف سياسية (سعاد، 2019، صفحة 503). مما غيب البعد الرسالي والاجتماعي للإعلام في الجزائر، الذي ينبغي النظر إليه على أساس أنه وسيلة ورسالة في نفس الوقت ، مما يستدعي التكامل أو التجاور المتفاعل بين الدعوة والإعلام ، بهدف وضع كل من الدعوة والإعلام في سكة واحدة ، يكون الإعلام في خدمة الدعوة وتكون الدعوة

هدفا ساميا للإعلام، ويحدث التفاعل بينهما شكلا ومضمونا. والغاية والهدف وتلاقي الدعوة بالإعلام لا ينحصر في محتوى الرسالة وحدها فحسب بل يتعداها للمرسل فالوسيلة فالمتلقي فالأثر وضمن نظام ‘جتماعي وبعد حضاري" (بوعلي، 2007، صفحة 58).

2.3 الإعلام الديني في الجزائر تجارب وتحديات :

تبحث تجربة الإعلام الديني في الجزائر عن النجاح في مختلف الجوانب ، سيما ما تعلق في بناء إعلام رسالي. وتشير البحوث والدراسات تاريخ الصحافة والإعلام في الجزائر أن الصحافة الجزائرية رافعت لهذه النزعة واجتهدت في الانتصار لهذا التوجه منذ نشأتها "لان هذه الصحف وهي تقاوم الاحتلال الفرنسي انما تقوم بتعزيز الثقافة الاسلامية وتدعيم الوعي الديني لدى الجزائريين" (عزوز، 2013، صفحة 40). لكن يجب الاقرار في هذا الجانب أن الإعلام الديني في الجزائر لم يتأسس كفل عقلاني مستمر في الزمان والمكان بل وتعرض للعديد من العقبات والمصادرات الموضوعية سواء في ظل الاحتلال أو بعد الاستقلال . فنقص الفهم العميق للنص الديني وطبيعة الصراع الايديولوجي بين السلطة الدينية والسلطة السياسية سيما اجزاء منها المتمسك بخيار العلمانية في بناء الدولة عرض النص الديني وبالتالي الإعلام الديني للكثير من التشوهات.

وقد استمر تأثير الخطاب الطرقي الممتد الى الاحتلال الفرنسي، في استمرار الكثير من الممارسات الاسطورية في الخطاب الديني المغذي للخطاب الإعلامي ، كرافد من أهم روافده. وفي الوقت الذي يرافع بعض الاكاديميين المهتمين بالإعلام الديني لقوة وجودة الخطاب الديني بالتأكيد على بعد التكوين باعتبار أن ، رجل الإعلام ليس مخبرا يحسن الكتابة والكلام عن الوقائع الحاصلة خاصة في الفضاء السياسي أو أنه تقني صحفي فحسب ، بل هو رجل ثقافة بالدرجة الأولى يملك مرجعية ويستند إلى تصور حضاري معين . ومن هذا المنطلق فهو يكيف رسالته الإعلامية من بعد قيمي كمرجعية ومرتكز ورؤية (بوعلي، 2007، صفحة 55). لكن الحقيقة أن الإعلام الثقافي عامة والإعلام الديني خاصة يعاني الكثير من التهميش في الوسائل والإمكانيات المادية والبشرية ، الشيئ الذي يشجع استمرار هشاشة الخطاب الديني الإعلامي واضطراب الرؤية العلمية والأكاديمية وحتى الفقهية الدينية إليه كإعلام قادر على الوفاء بالنقل الموضوعي للرسالة الدينية .

ولقد حاولت الدولة الجزائرية مواكبة نبض حياة المجتمع ومجاراة اهتمامهم بالدين وهوس مختلف فئات المجتمع، بإضفاء البعد الديني على مختلف مناحي الحياة . فلجأت وفي ظل

التدفق الاتصالي الحر للقنوات الدينية من الشرق الاسلامي بتعدد مذاهبه ومرجعياته السنية والشيعية ، والغرب المسيحي بمختلف مذاهبه الايديولوجية وفرقه التنصيرية ، إلى إنشاء قناة القرآن الكريم كقناة شاملة لشؤون الدينية تحاول الاحتكام إلى النصوص الشرعية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكذا إنشاء إذاعة القرآن الكريم ومحاولة توسيع نقاط بثها لتشمل الكثير من الولايات بالتنسيق والتعاون مع محطات البث الاذاعية المحلية ، بهدف التمسك بخط المرجعية الدينية الوطنية المستمدة من المذهب المالكي .

يقول نصير بوعلي انه هناك نوع من القصور الكمي والنوعي والتأثيري ، فالقصور الكمي يتمثل في قلة مساحة الإعلام الديني على خارطة الإعلام العام ، أما القصور الكيفي فيتمثل في قلة أساليب المعالجة الإعلامية للمحتوى الديني ككل ، أما القصور التأثيري وهو القصور الناتج عن قلة الفقرات الدينية بين فقرات أخرى تفوقها في المساحة والقدرة على الجذب والتأثير" (بوعلي، 2007، صفحة 109). علاوة على المعرفي العام في الإعلام الديني التلفزيوني العربي ، إضافة إلى سيطرة المرجعية الدولانية بالنسبة للقنوات التلفزيونية العمومية وسيطرة "حرية النموذج المعرفي " في القنوات الخاصة ، وهذا النموذج المعرفي يقرر ويؤمن بالنسبية المطلقة . فيصبح الدين أحد الخيارات وليس هو بحثا عن الحق وتحصيلا للحقيقة (بوعلي، 2007، صفحة 112).

ولكن مع الانفتاح السمعي البصري الذي كان سنة 2011 ، ونظرا لاقتناع أرباب المؤسسات الإعلامية بالتأثير القوي والعميق لسطوة الدين على عقول وقلوب الجزائريين بادرت مختلف القنوات التلفزيونية إلى انتاج برامج دينية مختلفة، لاستقطاب الجمهور وإشباع رغبات وحاجاتهم إلى المعلومة الدينية. والاستجابة خصوصا للرغبات الجامحة للفتوى الشرعية في مختلف شؤون الحياة. لكن جنحت الكثير من القنوات إلى اعتماد أسلوب الإثارة في القضايا الدينية بل وأحيانا لجأت بعض القنوات الى اعتماد أسلوب الاثارة والبهرجة والتهريج الديني مما يخلق نوع من التململ والاضطراب في المخيال الاجتماعي للإعلام الديني في مرحلته الجديدة المطبوعة بالانفتاح السمعي البصري والانفتاح السيبيري .

ويمكن هنا التأكيد على النجاح النسبي، للقنوات الجزائرية الخاصة على إزاحة الطابع الرسمي للدين وفك الاحتكار عن الظهور لائمة السلطة وفقهاء السلطان ، وتمكين العديد من الائمة والأكاديميين المختصين في العلوم الاسلامية من التعبير عن آرائهم وتوعية المجتمع

بصحيح أمور دينهم ودنياهم ، إضافة إلى النجاح في استرجاع وتأميم المشاهد الجزائري المستفتي عن شؤون دينه في الفضائيات الأجنبية واسترجاعه الى طلب الفتوى من المصادر الإعلامية الجزائرية ووفقا للمرجعية الدينية الوطنية ، وبالتالي تفادي التعصب والتطرف الوافد الينا عبر الفضائيات الأجنبية . لكن يجب التأكيد أن التركيز على بعد الاثارة والتهريج سيستمر في زيادة محنة الإعلام الديني الوطني، ويعجل في تنفير المشاهدين وتصديرهم مرة أخرى إلى القنوات الفضائية الأجنبية ، ومن غير المستبعد أن تستقطبهم قنوات التنصير بأساليبها البارعة في الاثارة والتأثير واستراتيجياتها اللينة وآلياتها السيكولوجية في الاقناع.

3.3 الإعلام التنصيري الخلفية التاريخية والإيديولوجية والرهانات المستقبلية :

التنصير يتجاوز حدود فعل إدخال الناس للنصرانية إلى ما هو أعظم أثرا وأعمق تأثيرا فالتنصير هو حركة دينية سياسية استعمارية بدأتِ بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين دول مختلفة بصورة عامة ، وبين المسلمين خاصة ، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب (خليل، 2017، صفحة 69).

فاعتبر الغرب التنصير أو التبشير عامل مهم في إضعاف العقيدة الاسلامية وخلق تخاذل روحي ومعنوي وشعورِ بالنقص وتقطيع أواصر الوحدة والإخاء والترابط ، بين المسلمين وإثارة الفتن والقلاقل في العالم الإسلامي ، وإنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الإسلام وإبعاد العناصر الإيجابية عن مراكز التوجيه . وأجمعت خطط المنصرين ودراساتهم على أنه إذا لم تنجح دعوة التنصير في إدخال المسلمين في دين جديد ، فلا أقل تكون قد أخرجته من الإسلام ، وكان هدفهم أيضا الاستعمار العالمي ، حيث يمتلك هؤلاء المنصرون إمكانيات مالية هائلة تمكنهم من التحركات الواسعة والإنفاق اللامحدود على كل الوسائل التي يستخدمونها (خليل، 2017، صفحة 70).

ولقد سعت فرنسا الاستمارية ، بكل قوة لدعم حملات التنصير سواء خلال الاحتلال العسكري المباشر والحروب الصليبية المدمرة أو عبر التركيز المكثف لجهود الغزو الفكري والثقافي في بعده الديني ، وهي العملية التي استمرت لمرحلة ما بعد الاستقلال .

ولقد تأسست قناة شمال إفريقيا التنصيرية ، ورأت النور سنة 2000 كتتويج لجهود قام بها مجموعة من المسؤولين المنتمين لمجمع شمال إفريقيا للمتعاونين north african partnershipمنذ 1991 ، والتي أطلقت مجموعة أعمال بالتركيز على الفيديو والتلفزيون لضمان النشر الموسع للإنجيل في المغرب العربي(chaine nord africaine ali arhab)

(fondatuer et directeur de la chaine nord-africane, 2012 ، وقد انطلق بث القناة سنة 2012 ، التي تتباهى بأنها قناة مسيحيي الجزائر ويترأس إدارتها مؤسسها علي أرحاب الجزائري الأصل والمنحدر من منطقة القبائل والحامل للجنسية الفرنسية .

وتوحي الكثير من المؤشرات إلى انبثاق مشروع القناة من المشروع الكبير المتعثر للتنصير خلال الاحتلال الفرنسي ، الذي تميز بشيوع ظاهرة التنصير وتدعيمها واتخاذها مطية نحو تحقيق المصالح الاستعمارية. إذ كان الاحتلال الفرنسي احتلالا ثقافيا ودينيا. فقد اصدرت قيادة الاحتلال أمرا يقضي بالاستيلاء على الاوقاف الاسلامية التي تمول الخدمات الدينية والثقافية والاجتماعية، بعد شهرين فقط من دخول مدينة الجزائر. وسيطروا على أكبر جامع في المدينة وهو جامع كيتشاوة من أجل تحويله الى كاتيدرائية مسيحية ونشطت الارساليات التنصيرية على غرار فرقة الإخوان والأخوات البيض وإخوان المذهب الكاثوليكي وجهود رجال الدين . وكانت الجهود المبذولة كثيرة بدليل الاكثار من الكنائس التي بلغت 327 كنيسة و45 معبدا لليهود في مقابل 166 مسجدا فقط للمسلمين الذين قارب عددهم ستة ملايين نسمة (عزوز، 2013، صفحة 60). إضافة طبعا إلى انتهاج سبل أخرى كتعميم العلمانية واتخاذها نهجا تربويا وعلميا وفلسفة حياة بهدف إضعاف الإسلام والمسلمين . وهذا ما ذهب إليه القس صموئيل زوامير "ما دام المسلمون ينفرون من المدارس المسيحية فلابد أن ننشئ لهم المدارس العلمانية ونسهل الالتحاق بها ، هذه المدارس التي تساعدنا على القضاء على الروح الاسلامية عند الطلاب" (خليل، 2017، صفحة 73).

وتحاول القناة التكثيف من جهودها لتحقيق أهداف نزعتها التنصيرية ، بحيث انجزت سنة 1997 مجموعة من الحصص ، ساهم في انجازها مجموعة من المتعاملين المتعاونين من مجمع شمال إفريقيا للمتعاونين ، تم بثها عبر القناة العربية المعجزة ، وفي سنة 1999 قام الفريق المختص في الفيديو والتابع للمجمع شمال افريقيا قرر تلبية احتياجات سكان منطقة شمال إفريقيا بإطلاق قناة خاصة بهم . وفي سنة 2000 أطلقت قناة شمال إفريقيا بثها على القمر الصناعي هوت برد ، وتغطي شمال إفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط ، وفي ديسمبر سنة 2011 شرعت في بث على مدار الساعة على القمر الصناعي أطلنتيك بيرد 7 . يترأس القناة الجزائري ذو الاصول القبائلية علي ارحاب

قناة شمال إفريقيا الأولى من نوعها التي تبث بأفق مسيحي الإنتاج ، بمجموع اللغات التي يتكلمها ويفهمها سكان شمال إفريقيا العرب والأمازيغ ، إضافة إلى اللغة الفرنسية . أما فيما يخص شبكتها البرامجية فهي متعددة ومتنوعة تنسجم مع أهدافها الاستراتيجية في النشر الموسع للمسيحية . فهي تتضمن شهادات للمعتنقين الجدد للمسيحية والمرتدين عن الاسلام ، الاشرطة الوثائقية ، حوارات ونقاشات ، وتعليميات الانجيل ، مسلسلات وأفلام للنساء ورسوم متحركة وبرامج للأطفال ، فواصل وكليبات موسيقية تتغنى بقيمة وفضائل المسيحية ويدعم جهود قناة شمال إفريقيا ، في تحقيق وانجاز شبكتها البرامجية مجموعة من الشركاء الذين يتقاسمون مع القناة نفس القيم والمبادئ وحرصت القناة على تمكين رواد الأنترنت من المتابعة الدائمة والمستمرة لبرامجها ابتداء من سنة 2009 (chaine nord africaine ali arhab fondatuer et directeur de la chaine nord-africane، 2012) .

يمكن التأكيد أن هذه القناة هي في الحقيقة امتداد طبيعي وتاريخي للمشروع الإستدماري الفرنسي غير متناهي الاطماع والجموح الاحتلالي الاستغلالي ، لأن فرنسا وخلال 130 سنة من الاحتلال استهدفت اجتثاث جذوة الدين الاسلامي ، من قلوب وعقول الجزائريين وطمس معالم هويتهم الحضارية وانتمائهم العربي الاسلامي الأمازيغي ، بانتهاج أساليب جهنمية أخطرها سياسة فرق تسد لتفكيك الكتلة المتماسكة تاريخيا للجزائريين. فتاتي القناة اليوم لإعادة بعث مشروع التنصير عبر آليات القوة الناعمة والغزو اللين المتمثل قي الإعلام الفضائي بعد الفشل الذريع للقوة العسكرية والاستدمارية.

4. سيكولوجيا الاتصال الاقناعي والبناء السياقي للمعنى في قناة شمال إفريقيا التنصيرية الناطقة بالأمازيغية:

يتجه الإعلام الديني ومن خلال مجموعة من المؤشرات إلى تأكيد تورطه في الأدلجة المفرطة ، وإثبات مقولة لك حقيقتك ولي حقيقتي. وبالتالي من يمتلك الوسيلة الإعلامية يمتلك الحقيقة. فبات تصنيع المضمون الاتصالي في وسائل الإعلام والاتصال الدينية خاصة التنصيرية السمة الأبرز في نهجها التواصلي والإقناعي . لقد بينت التجارب وعلى مر العصور "أن اختيار المجتمعات الإسلامية لغرس بذور التنصر والإلحاد كان اختيارا دقيقا مبنيا على دراسة عميقة لها أسسها النفسية والتربوية والاجتماعية . (خليل، 2017، صفحة 74) ومن خلال ملاحظتنا العلمية وتأملنا العميق لمختلف البرامج التي تنتجها قناة شمال إفريقيا التنصيرية الناطقة بالأمازيغية خلال أشهر (جانفي ، فيفري ، مارس ، أفريل)

من السنة 2018 توصلنا إلى استنتاج أن القناة اعتمدت على أساليب سيكولوجية وإقناعية مختلفة تنوعت فيها الاستمالات العاطفية والعقلية المتشابكة مع السيقنة المحلية السوسيوثقافية في إنتاج المعاني والأفكار التنصيرية.

1.4 توظيف السيميولوجيا الاجتماعية لبناء المعنى وكآلية للإقناع : لقد لاحظنا أن قناة شمال إفريقيا التنصيرية توظف منهج السيميولوجيا الاجتماعية في الاقناع من خلال استحضار دلالات البيئة الاجتماعية القبائلية، والاستثمار فيها على غرار الزي التقليدي القبائلي ، المرأة القبائلية كرمز للصبر والصمود والتحدي والحرية وشموخ الهمة ، وكذا تاجماعت كجماعة بشرية ذات تأثير عميق في الوجدان الجماعي للسكان، حتى في البعد التخيلي والديني والسياسي. وكذا سحر وعذوبة الألحان ذات الرنة القبائلية وشجرة الزيتون وغيرها من الرموز الدلالية ، فتوظيف مثل هذه الأيقونات الدلالية في سيمياء الاتصال بالتأكيد ذات وقع كبير في نفسية المتلقي المحلي ، وبالتالي تحاول القناة تمرير رسائلها من خلال هذه القناة المتمثلة في سيمياء الاتصال. "إن الاطار الاجتماعي أو ما أسميناه السياق الاتصالي" هو الفضاء السوسيوثقافي الذي يتحقق فيه الاتصال ويتحقق فيه التأثير ، ويعتقد البعض أن أي اتصال لا يحترم الحقائق والمعطيات الموضوعية ، أي لا يحترم الأعراف والتقاليد الاجتماعية هو اتصال محكوم عليه بالفشل (دويدار، 2005، صفحة 24).

ويعتقد الخبراء في علم النفس الاتصال أن فاعلية تأثير رسالة إعلامية معينة تزداد في ظروف خاصة. فمن المرجح ان يزداد تقبل الاشخاص في نهاية السلم الاجتماعي للأفكار الدينية وغيرها من الجماعات الدينية والإحيائية ، ربما لان هذه الجماعات تحقق لهم قدرا من التحرر الانفعالي ، فضلا عن هذا فإن عقائد تلك الجماعات تشبع لديهم بعض الدوافع (دويدار، 2005، صفحة 35).

2.4 توظيف النوستالجيا السوسيوثقافية : توظف القناة الاتصال الديني النسقي وتعمد إلى الاستحضار الذكي والعاطفي للسياق الثقافي في بعده الزماني والمكاني . ولقد لاحظ الكثير من المهتمين أن المحطات الإذاعية والتلفزيونية تعتمد في مهمتها التنصيرية على الاستقطاب أي العمل على كسب المستمعين المسلمين ، من خلال إنتاج برامج ذات طابع محلي وبمضمون محلي. (زلماط، 2017). ويتشابك بل ويستنطق المكونات ذات الأثر العميق والسحري في المخيال الاجتماعي . ويزداد هذا التأثير العميق خاصة لدى الأفراد

والجماعات المغتربة أو المهاجرة والمندمجة اقتصاديا في بيئات اجتماعية وثقافية أجنبية حيث يربطها الحنين إلى بيئة الميلاد الأولى أو مسقط الرأس بتفاصيله الجميلة والمشوقة .
والملاحظ لبرامج قناة شمال إفريقيا التنصيرية والموجهة بشكل أساسي للجزائريين سيما سكان منطقة القبائل ، أنها تعتمد على الاستحضار الاستعراضي لمتغيرات ومكونات بيئة الاتصال الثقافي ، على غرار ذلك الاستعراض الفني الجميل للتك اللوحات الفنية الجميلة من الطبيعة خاصة لمنطقة القبائل ، حيث تعزف القناة على وتر النوستالجيا الطبيعية والفنية والثقافية كتلك المشاهد المميزة لمنطقة القبائل كالبناء العمراني الذي يميز ثادارث أو الدشرة ، وخاصة وأن البعد السيكولوجي يكتسي أهمية كبيرة في الاتصال الاقناعي ، فالمعروف على الانسان الأمازيغي وخاصة القبائلي تعلقة بالأرض وسكون روحه بها ودفاعه المستميت عنها ومنه اكتسب الأمازيغ صفة السادة الأحرار الذين لا يتحملون الخضوع لسلطان ولا يرضخون للقوة (كريمة، 2017، صفحة 401) . إضافة إلى التركيز على مجموعة من المتلازمات اللصيقة بالشخصية القبائلية وذات العمق السحري في نفسية سكان منطقة القبائل كالتعلق بشجرة الزيتون ، وكذا التعلق بالينابيع الطبيعية والعيون الطبيعية الدفاقة والرقراقة أو ما يسمى ب " ثالة " ، فتلجأ القناة للاستثمار في هذا البعد الجمالي الطبيعي ، من خلال استحضار لشهادات الكثير ممن اعتنقوا المسيحية ، فتركز في تسجيل شهاداتهم وهم يعبرون عن فرحتهم الكبيرة ، وتخلصهم من حالات البؤس والإحباط في ديكور طبيعي تشكل فيه شجرة الزيتون أو ساقية الماء وخريره أو البيت الذي يرمز إلى الاصالة وروح التضامن والعيش المشترك أهم دعائم هذا الاتصال.
كما أن الاحتكار الطويل لسلطة الصورة والصوت من قبل الإعلام الرسمي يعطي الانطباع للذين يظهرون في التلفزيون ، أنهم موجودون كشكل من أشكال التعويض عن ذاك التغييب لمنظومة الاتصال وبالتالي يمثل هذا الظهور شكل من أشكال التماهي والتباهي بالذات ونوع من الانتقام من حالات الكبت والتغييب الثقافي عن الظهور .

3.4 توظيف المرأة والطفل في صناعة الخطاب الإقناعي : تتربع المرأة على مكانة اعتبارية كبيرة في المجتمع الجزائري عامة وفي المجتمع والعائلة القبائلية خاصة ، وتنطلق سيكولوجية الاقناع سواء الاشهارية أو الدعائية التجارية وحتى الدعائية الدينية من التركيز على التوظيف الذكي لصورة المرأة . وتريد قناة شمال افريقيا التنصيرية المسيحية التوظيف الذكي للمرأة ، سيما استغلال موجات ونزعة التحرر من كل اشكال الضغط والقهر والخروج

التدريجي من سيطرة المجتمع الذكوري ، وبالتالي يأتي اعتناق النصرانية والمسيحية كخلاص من سلطة الأسر الذكوري . ولكن يأتي هذا التوظيف من الناحية الاستراتيجية باعتبار استقطاب المرأة والتأثير في معتقداتها؛ يعني التأثير في معتقدات المجتمع النسوي المحلي ثم التأثير في معتقدات أجيال بأكملها. من منطلق فكرة الأم مدرسة فإن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق. لأن الأم المربية ستنقل تلك المبادئ والمعتقدات أو الطقوس الإيمانية إلى أولادها ومحيطها ، خاصة وأن الأنثى عامة أو الأم خاصة تنزع نحو ممارسة نوع من السلطة الرمزية التي تتراكم مع الوقت ، وتتدعم من الناحية الرسمية بإقرار المزيد من الحقوق المدنية والسياسية ، خاصة وأن هناك حركة نسوية جمعوية تنتقد بعض الممارسات التقليدية المستمدة من تعاليم الدين الاسلامي ، سيما قانون الاسرة والكثير من الاشكاليات الاجتماعية المترتبة عنه. وتحاول القناة المسيحية استغلال هذا البعد ، من خلال إبراز القدرات الحوارية للمرأة وتصويرها ليس كربة بيت أو إمراة ناجحة في مهمتها كامرأة عاملة ، بل ابعد من ذلك تصنع من المرأة العادية نموذج لإمرأة قيادية وبشخصية كارزماتية تنزع نحو الحرية عامة والحرية الدينية والعقدية خاصة .

كما توظف القناة صورة الأطفال في إنتاج الخطاب الإقناعي ، كرموز للبراءة والمحبة والسلام ، فالتوظيف الرمزي الأيقوني لصورة الأطفال وهم يقبلون على احتضان الكتاب المقدس والتغني به في المجموعات الموسيقية، سواء في الهواء الطلق والطبيعة العذراء بسحر جماليتها والممزوجة بابتسامات الأطفال ومضيهم نحو المستقبل المشرق حيث أحلامهم تعانق نور الشمس ، أو في الكنائس والمعابد وهم ينتشون بترانيم الأنغام العذبة المتغنية بالمسيح عيسى عليه السلام والعقيدة النصرانية. فهذا كله له من الدلالات والأثر العميق في انتهاج القناة البعد الاستراتيجي والتأثير بعيد المدى في حفر قيم المسيحية في مخيال الأجيال المستقبلية.

4.4 توظيف البعد الفني والجمالي في الاتصال الإقناعي للتنصير الديني : تستعين القناة بالفنون الموسيقية والدرامية وحتى التراثية كالغناء والرقص، كآليات للاستمالة العاطفية لاعتناق المسيحية ، وقد أكد مدير قناة شمال افريقيا المسيحية المرتد عن الاسلام ، والذي استضافته قناة زي ماغ. أن فكرة القناة استوحاها من الشارع الألماني ومن مخالطته للمسيحيين واحتكاكه بالفنانين الذين يغنون وينشدون المسيحية ليكتشف مستويات الانفتاح

مقارنة بالانغلاق الذي "عهده في البيئة التي كبر عليها" وصرح في الحوار أن سكان شمال أفريقيا متعطشون لاعتناق المسيحية (chaine nord africaine ali arhab fondatuer et directeur de la chaine nord-africane، 2012) . فتركز القناة على الابراز الاستعراضي لفواصل موسيقية ومقاطع غنائية ، توظف فيها المرأة والشباب وحتى الاطفال وتصويرهم في الأماكن المقدسة أي في الكنائس والمعابد المسيحية ، أو تصورهم في الهواء الطلق بالتركيز على سحر وعذوبة الالحان وانسجامها وتناغمها مع سحر وجمالية المشاهد الطبيعية الساحرة والآسرة للوجدان الفردي والجماعي. إن التركيز على البعد الجمالي الطبيعي الممزوج بالفواصل الفنية والصوتية ذات وقع كبير، فهي تدغدغ شعور وإحساس المتلقي وتساهم في بناء الوجدان الاجتماعي الجماعي المتوافق والمتناغم صوريا مع خطاب التنصير. وتخصص القناة فواصل موسيقية بشكل كبير وربما مكثف مقارنة إلى نسبة الشبكة البرامجية ، للترويج للديانة المسيحية ، وفي مدح سيدنا عيسى عليه السلام كرمز للمحبة والسلام وكمنقذ للبشرية، بحبه لهم جميعا بوصفهم ابنائه هكذا تصور أحد الكليبات التي تمزج بين فريقين متقابلين فريق نسوي وفريق ذكوري ، في شكل كورال موسيقي تمجد خصال السيد المسيح عيسى عليه السلام . وتركز الفواصل الموسيقية بنغماتها القبائلية على البعد الروحي سواء من خلال الاستحضار والاستجلاء القوي لمكانة الكتاب المقدس أو نقل ومرافقة الفواصل الموسيقية بمشاهد متناغمة مع الألحان والكلمات الغنائية من الكنائس ودير العبادة الطقوسية المسيحية.

كما لاحظنا أن الفواصل الدعائية للقناة التنصيرية ، تركز في إبرازها دوما في شكل شعاع من النور يغزو الظلام ويحقق الحرية . ومن بين الومضات الترويجية للقناة هو إبراز رمز القناة ثم رسمة كاريكاتورية يظهر فيها طائر في قفص وبعد الجلاء الانسيابي والنوراني لرمز القناة ، يخرج ذلك الطائر من القفص ويحلق عاليا في السماء ويصبح حرا طليقا ، بمعنى هذا الدين هو دين التحرير من أغلال القيود الاجتماعية والدوغمائيات الدينية المغلقة.

وتصور إحدى المقاطع الموسيقية أربع شباب ، إثنين يحملان الغيتارة وأحد منهم بالجواق والآخر بالبندير وقبل انطلاق المعزوفات الموسيقية ، وضعوا الكتاب المقدس على طاولة حجرية مربعة تتوسطهم والتأموا حوله ، وشرعوا في اطلاق العنان لتلك الالحان وسافروا عبرها بالتفاعل معها وهم في غاية النشوة والاغتباط . وتركز الكاميرا على ابراز ملامح السعادة. كما تركز معظم الكليبات الموسقية على إبراز الكتاب المقدس كرمز للسعادة والنشوة

والغبطة. وتورد أحد الكليبات عائلة مكونة من ثلاثة أفراد الرجل وزوجته يتوسطهم طفل صغير، يمشون في الطبيعة يد تمسك بالولد الصغير ويد تمسك بالكتاب المقدس ، وينطلقون في الطبيعة وترافقهم الالحان العذبة والجميلة ، وفي آخر الكليب فيديو يتكاثر عدد الافراد بمعنى فيه نوع من الايحاء بتكاثر المعتنقين لهذا الدين الذي يصنع السعادة ، وفي مشهد آخر يجلس ثلاثة شبان تحت ظل شجرة في مشهد حزين ، فإذا برجل يقبل عليهم حاملا لنسخ من الكتاب المقدس ويصاحبه النور بحيث بمعنى الضوء يرافقه ، وبعدما ألقى عليهم السلام وصافحهم. المشهد يوحي بأن المسيحية هي النور التي تخرجكم ايها الشباب من الغم والحزن والشك والريبة الوجودية وتلقي الضوء على حياتكم وتنير دروبكم.

ونظرا لعمق تأثير الدراما التلفزيونية فقد عمدت القناة إلى توظيف الدراما التلفزيونية كالمسلسلات الدينية التي تركز على إبراز البعد التاريخي في العقيدة المسيحية ، كترجمة ودبلجة المسلسلات الدينية لسيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا موسى عليهما السلام للغتين العربية والأمازيغية أو بالأحرى القبائلية البسيطة لضمان الانتشار الجماهيري للأفكار التنصيرية.

5.4 توظيف البرامج الحوارية وسيكولوجية التفاعل الإنساني : تستعين القناة في مختلف برامجها الحوارية بالتفاعل وسيكولوجية الحوار الإنساني ، الذي يطبعه الهدوء والسكينة والاحترام الكبير في تبادل الآراء والأفكار حول تعاليم الديانة المسيحية . فعملية التفاعل هي الموجه الرئيسي لسلوك الفرد فهذه العملية البيولوجية–الدماغية في المقام الأول ، والنفسية–الاجتماعية في المقام الثاني يمكن أن تكون إيجابية فتدفع بالفرد نحو التمثل ، أو أن تكون سلبية فتدفع بالفرد نحو النفور. (دويدار، 2005، صفحة 41). وهذا يتطابق مع مبدأ وسياسات الترغيب والترهيب. كما تسترشد القناة في عملها السيكولوجي الاقناعي على التفاعل بالمواءمة والمشاركة كنقيض للتفاعل الصراعي الذي فشل على مر العصور والحضارات القديمة ، سيما بعد الحروب الصليبية والحملات العسكرية المباشرة "فالإيهام بالتفاعل بالمشاركة يفضي إلى تفاعل انساني اكثر ايجابية وأكثر إنسانية ، فإذا كان التفاعل الصراعي يقوم على المشاعر السلبية للفرد والجماعات (عدائية حقد ثأر ، رغبة في الحرب،،) فإن التفاعل بالمشاركة يعتمد على المشاعر الإنسانية الايجابية (كالتكافل ، المودة ، التعاون ، الحب ، الرغبة في المساعدة..ألخ) (دويدار، 2005، صفحة 45).

ما يلاحظ على البرامج الحوارية عامة هو البساطة في كل شيئ ، بساطة في الأسلوب وفي شخصية المحاور ، وفي الشخوص المحاورين ، وحتى بساطة في السياق الخطابي أي في الديكور العام لمختلف البرامج. كما أن معظم البرامج الحوارية تركز على محاورة الشباب العاديين دون التركيز على مكانتهم الاعتبارية ، الشيئ الذي يمكن اعتباره بعدا شعبويا أو بعدا جماهيريا في صناعة خطاب التنصير. فكل من يعتنق المسيحية يمكن أن يكون شخصية تلك الحصة بمعنى تجاوز الأطر الرسمية البروتوكولية في الشخصية المحاورة وتكفي عرض التجربة الايمانية الشخصية ، لإقناع الآخر بالتجربة الجديدة بغض النظر عن تعميق الفهم في النص الديني للمسيحية . كما يلاحظ أيضا أن معظم البرامج الحوارية تنشطها الفئات العمرية المتوسطة وخاصة الشباب.

6.4 توظيف سلطة الصورة التلفزيونية والإيهام بتحقيق الذات : توظف القناة الصورة التلفزيونية بتجلياتها الفنية والتقنية الإعلامية والاجتماعية وآثارها النفسية العميقة ، في تحقيق الذات وانتشالها والإيهام بانتشالها من غياهيب التجاهل والنسيان في هوامش وأطراف المجتمع ورفع الاحتكار عن الظهور. ولقد لاحظنا أن المتنصرين من الشباب والشابات وحتى بعض الآباء والأمهات ، يبدون تماهيا كبيرا بظهورهم أمام شاشات التلفزيون وإعطائهم الفرصة ليس فقط للظهور ولكن الفرصة للتعبير عن الذات والوجود الروحي وبالتالي هذا الظهور يعتبر كشكل من أشكال الإعتراف بهذه الشخصية العدمية التي كانت مغيبة في دهاليز النسيان والفقر ونقص الاهتمام ، وبالتالي ترى هذه الشخصية نفسها كذات غير عادية ، وهو شكل من أشكال التمكين في ظل المعتقد الجديد.

إن هذا الاهتمام المفرط الذي تبديه القناة ، لاهتمامات والانشغالات الوجودية للشباب القبائلي وفي سياقات سوسيوثقافية ، تنجح في استقطاب الشباب سيما في ظل الفراغ الروحي وقلة الحضور للخطاب الديني الرسمي وغير الرسمي ، سيما تهلهل وضعف الخطاب الديني وجنوحه نحو التهريج والاستعراض الجماهيري، وظهور مؤشرات فوضى الفتوى بسبب التغييب الإعلامي للخطاب الديني الرصين المبني على العقل والعلم.

7.4 تبسيط الخطاب الديني ونزع الطابع المقدس عليه : تركز القناة على إبداء تعاليم المسيحية في غاية البساطة سواء من خلال توظيف الاشخاص أو النصوص أو الديكور العام للحصص التلفزيونية ، الملامح البسيطة للأشخاص الذين يتكلمون عن المسيحية فالأشخاص يبدون كأشخاص عاديين يحملون نسخ من الكتاب المقدس ويقرأون منها ثم

يشرحون ويفسرون تلك النصوص. وتركز القناة على إزاحة البساط أمام السلطة الدينية وبالخصوص الامام الخطيب أو الفقيه الديني ، من خلال استضافة اشخاص طبيعيين وأحيانا كثيرة اشخاص عاديين لنقل تجارب حياتية وانطباعات حقيقية شعورية عن الدين الجديد المسيحية.

8.4 النقل الاستعراضي والاحتفائي للشهادات الحية للمعتنقين الجدد للمسحية : تعطي القناة اهتماما كبيرا للحالات التي اعتنقت المسيحية ، وتمنح له كل الوقت لاستعراض التجربة الجديدة في ظل الدين الجديد، في جو يشبه الجو الاحتفالي وبأسلوب قصصي مشوق ، وبطابع يدفع الآخر إلى استعجال تحقيق حلم التنصير كمفتاح لكل الأحلام الدنيوية كيف يتحقق الحلم في ظرف قياسي ويتحقق الخلاص ، من العبوس واليأس وتتحقق السعادة المفاجئة . ويتحقق الشعور بالسعادة والحب والتآلف والتضامن لك ولأفراد عائلتك ولكل من تلتقي بهم. فإدخال مسلم إلى المسيحية يعتبر من الانجازات العظيمة الجديرة بالاحتفاء والاحتفال ، وهذا ما يذهب إليه رئيس جمعيات التنصير الأمريكي صموئيل زوامير : "إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة لهِ باللهِ وبالتالي فلا صلة تربطهِ بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها" ويضيف "لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو أن ييأس ويقنط عندما يرى أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية لكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم عندما تذبذب مسلما أيها المبشر" (خليل، 2017، الصفحات 71-72).

وتتجه القناة إلى إبراز الحالات التي اعتنقت المسيحية وفقا لنمط نسقي متشابه الظروف، لقد كشفت معظم الحالات الجديدة التي تعتنق المسيحية أنها تنتمي إلى الفئات العمرية الشبابية والمتوسطة وهي تنحدر من المناطق الريفية في هوامش المدن وتخوم القرى والأرياف المعزولة في منطقة القبائل. وهذا ما ذهب إليه الخبير في سيكولوجية الاتصال دويدار أنه "تبين أن المذاهب الدينية الجديدة تزدهر بين الريفيين المتوسطين في العمر". (دويدار، 2005، صفحة 36) ويركز معظم المعتنقين الجدد للمسيحية خلال رواياتهم لاعتناق العقيدة الجديدة ، أنهم كانوا يشعرون بالقلق والضيق والآلام الحادة في الرأس ، لكن وبعد اللجوء للصلاة يتجلى إليهم السيد المسيح عيسى ويمد يده البيضاء إليهم ويمسح بها على رؤوسهم فيشعرون بالراحة والهدوء والسكينة. وتحاول القناة التنصرية صناعة مضمون

اتصالي مفاده أن العلاج لمختلف الحالات المرضية النفسية والسلوكية يكمن في اعتناق المسيحية ، تنقل القناة شهادات للمعتنقين للمسيحية وبطابع استعراضي ، معظم الحالات تكشف عن القلق الضجر الملل القنوط وحالات التيه والضياع وتشتت البال والذهن ، العزلة والانطواء كره الناس والحقد عليهم وعدم الشعور بالراحة...إلخ. لكن بعد اعتناق المسيحية وبعد الصلاة وخاصة في الكنيسة يأتي الخلاص وتتحقق الراحة النفسية والجسدية ويتحقق حب الناس والتضامن والتعاون والحب والسلام.

وتوظف قناة شمال إفريقيا التنصيرية سيكولوجية الخلاص من سلطة القهر النفسي والاجتماعي من خلال التركيز على استعراض عشرات الحالات من الأفراد الذين تصورهم كأفراد يعانون من فقر المدقع وحالات الكآبة واليأس بل وبعض الحالات كانت تحاول الانتحار وأقبلت على الانتحار مرارا وتكرار ، ولكن وبعد اعتناقهم للمسيحية وسكنت روح السيد المسيح أرواحهم انقذتهم ، ونقلتهم من جحيم المعاناة والمآسي إلى نعيم الراحة والهدوء والطمأنينة والسكينة . وبالتالي تركز القناة على تزيين عمل الشيطان في الردة عن الاسلام واعتناق النصرانية رغم أن الدين الاسلامي ينص على الايمان بكل الأنبياء وبكل الرسل وبكل الكتب السماوية مصداقا لقوله تعالى "آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" (قرآن كريم، سورة البقرة،الآية 284).

5. خاتمة:

إن إقرار المنطق العقلي والعلمي بخيارات الأنسنة والتعايش المشترك بين الدول والشعوب كدعامة للسلم والأمن الانسانيين والذي رافقه في الجزائر إقرار رسمي دستوري ومؤسساتي بحرمة حرية المعتقد كدعامة لصيانة الحقوق والكرامة الإنسانية ، يعزز من طرح بعض الأكاديميين الرافضين لممارسة دور الوصاية الدينية الأبوية على الأفرد والمجتمع ، مؤكدين أنه لا خوف على الإسلام ، باعتبار أن البناء الاجتماعي الجزائري الأمازيغي قوي ومتماسك وأن التعاليم الدينية السمحة جعلت الأمازيغيين من أكثر الناس تمسكا بالاسلام (كريمة، 2017، صفحة 405). لكن هذا لا يعفي مختلف الفاعلين وصناع القرار في المجتمع والدولة من تكثيف الجهود وإعداد العدة وبناء نظام اتصال فعال مدعوم بخطاب إعلامي قوي ورصين قادر على الإقّناع والتأثير ، وصد كل أشكال الحملات غير البريئة للتنصير أو

التهويد أو غرس قيم دينية ولا دينية وافدة من الفضائيات التلفزيونية أو الفضاء السيبيري في ظل هذا الإمطار المركز لهويات الشعوب ومقوماتهم الدينية.

فقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة الكيفية وعبر مقاربة تأملية مرتكزة على منهج تحليل المضمون الكيفي والتحليل السيميولوجي لمضامين قناة شمال إفريقيا التنصيرية الناطقة بالأمازيغية ، أنها استرشدت وانتهجت مختلف الأساليب السيكولوجية والسيميولوجية والسياقية لتنفيذ مهامها الإقناعية وتحقيق أهدافها التنصيرية . وهنا يفتح هذا البحث المجال لدراسات علمية وأكاديمية أخرى للبحث وتقصي طبيعة التأثير ونوعه ونتائجه لتنوير الرأي العام الوطني الشعبي والرسمي بمخاطر التدفق الحر للإعلام التنصيري .

وعليه يجب الإقرار في هذا المقام أن الجزائر ورغم حصانتها الثقافية والدينية المتراكمة على مر التاريخ والعصور، ليست في منأى عن تهديدات الإعلام الفضائي عامة والإعلام الفضائي الديني والتنصيري خاصة. وبات مؤكدا اليوم وفي ظل السماوات المفتوحة والحملات الإعلامية التنصيرية ، المتدفقة عبر الفضاءات الاتصالية التقليدية والسيبرانية أن هذه الصناعات الإعلامية والثقافية تشكل خطرا على الأمن الديني والنسيج الاجتماعي خاصة في ظل هشاشة المؤسسات الثقافية والإعلامية والدينية القائمة. وبات تطعيم الفضاء الإعلامي والاتصالي الوطني بالعلم الديني الصحيح وبالعلماء ذوي الكفاءة والقادرين على الإقناع والتأثير في فكر الجزائريين وإنتاج الوعي بتحصين البناء الاجتماعي من كل مساعي الاختراق الثقافي أو الغزو الديني الناعم.

6. قائمة المراجع:

- ***القرآن الكريم*** *: (البقرة ، الآية 284)*
- ***الكتب :***

- *بركات عبد العزيز ، مناهج البحث الإعلامي الأصول النظرية ومهارات التطبيق ، دار الكتاب الحديث ، (مصر : دار الكتاب الحديث ، 2018)؛*
- *بوعلي نصير ، الإعلام والبعد الحضاري دراسات في الإعلام والقيم ، دار الفجر، (الجزائر: دار الفجر، 2007)؛*
- *دويدار عبد الفتاح محمد، سيكولوجية الاتصال والإعلام، دار المعرفة الجامعية، (مصر: درار المعرفة الجامعية، 2005)؛*

- الشمري بان خليل ، الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها ، دار روافد ، (لبنان : دار روافد ، 2017)؛
- عزوز هند ، الإعلام الديني في الجزائر ، دار أوراق ثقافية، (الجزائر: دار أوراق ثقافية ، 2013)؛

- **المقالات:**

- بوحريق كريمة ، البناء الاجتماعي الجزائري الأمازيغي رؤية سوسيوأنثربولوجية ، مجلة العلوم الإنسانية محمد خيضر بسكرة ، مج.. ، عدد 48 ، 2017 ؛
- رحموني لبنى ، الإعلام الديني الإسلامي في مواجهة خطاب الكراهية والتنميط الغربي ، مجلة المعيار ، مجلد 24 ، عدد 52 ، 2020 ؛
- رقاد حنان ، برامج قناة الحياة المسيحية –دراسة تحليلية- برنامج ليكن نور أنموذجا ، مجلة المعيار، مجلد21 ، عدد 42 ، جوان 2017؛
- سراي سعاد ، المشهد السمعي البصري في الجزائر الواقع والتحديات ، مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة ، مجلد19 ، عدد2 ، 2019؛
- الشميري سمير عبد الرحمان ، الإعلام الديني الوسيلة والأسلوب والمنهج ومقومات النهوض ، مجلة الدراسات الاجتماعية جامعة العلوم والتكنولوجيا اليمن ، مجلد، عدد 36 ، 2013؛

- **مواقع الأنترنت**

- علي زلماط، (2017) ، الإعلام التنصيري المباشر وغير المباشر ، مجلة البيان 13 /2017/06. https://albayan.co.uk تاريخ الاسترجاع ، 2018/02/16.
- نبيل عبد الفتاح، (2014) الثلاثية الغامضة الإعلام الديني الإرهاب وإشكالية الإصلاح ، المركز العربي للبحوث والدراسات، 23 أفريل 2014. تاريخ التصفح ، 2020/11/19 . الساعة 11:17)http://www.acrseg.org

-Chaine nord africaine ali arhab fondateur et directeur de la chaine nord-africaine https://actualitechretienne.wordpress.com . (29/08/2012) consulte 16/02/2020.